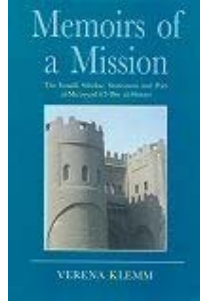




معهد الدراسات الإسماعيلية



ISBN 1 85043 422 0 (HB)

## مذكرات رسالة : رجل الدولة والشاعر الإسماعيلي المؤيد في الدين الشيرازي بقلم: فيرينا كلیم

لندن و نيويورك: إ. ب تورس بالتعاون مع معهد الدراسات الإسماعيلية 2003  
pp.xx+160

### دليل قراءة بقلم ياسمين خان

#### مقدمة

إن كنت في دعوتنا آخراً  
مثلك لا يوجد فيمن مضى  
فقد تجاوزت مدى السبق  
من سائر الناس ولا من بقي (ص.90)

هذه هي الأسطر الأخيرة من القصيدة التي خاطب بها الإمام- الخليفة المستنصر بالله المؤيد عندما منحه اللقاء. كان المؤيد في الدين الشيرازي وفقاً لرأي الكاتبة "واحداً من أكثر الشخصيات المميزة والموهوبة في الدعوة الإسماعيلية الدينية والسياسية، أو ما كان يعرف بالدعوة، تحت لواء الفاطميين" (ص. xiii).

في أوج قوة الفاطميين خلال القرن الخامس إلى القرن الحادي عشر قضى المؤيد في الدين الشيرازي معظم حياته خادماً للإمام-الخليفة المستنصر بالله (الذي حكم من 427 إلى 487 هجري / 1036 إلى 1094 ميلادي) كداعي ذو خبرات متعددة إدارية ودبلوماسية وحربية ودينية كما وحاز أخيراً على المرتبة الأعلى كداع للدعاة في السنة 1047/439.

تقدم فيرينا كلیم في هذا الكتاب تقريراً رائعاً عن حياة وإنجازات هذا العالم الفاطمي البارز والداعي والشاعر والسياسي مستخدمة وصفه الخاص الغني والشخصي لحياته من خلال سيرته الذاتية، سيرة المؤيد في الدين. تؤكد أن السيرة ليست فقط مصدراً تاريخياً غنياً لتنظيم وعمل الدعوة الإسماعيلية لكنها مصدر قيم للتاريخ الإسلامي في القرن الحادي عشر حيث كان الفاطميون والعباسيون والبويهيون والسلاجقة في تنافس على القيادة السياسية والعسكرية في العالم الإسلامي. تسلط الكاتبة كلیم الضوء على أهمية السيرة بوصفها تحفة من روائع الأدب العربي في القرون الوسطى وذلك لإعتماد المؤيد في كتابتها شكلاً أدبياً "مينياً على نثر مقفى منثور مع حوارات حية وقصائد من تأليفه وأحلام و قصص و حكايات رمزية". (ص.19) تصفها كلیم:

... سيرة المؤيد مصدر قيم وموثوق إلى حد كبير كتبت من قبل شاهد عيان ولاعب فعال في الأحداث السياسية الحساسة في القرن الخامس الهجري وحتى الحادي عشر ميلادي. وبالفعل فإن هذه السيرة تملأ وتكمل المعلومات الغير كاملة والمجزأة التي أوردها المؤرخون في العصور الفاطمية والأيوبيّة وفترة المماليك اللاحقة (ص. xvi).

دليل قراءة لكتاب مذكرات رسالة : رجل الدولة والشاعر الإسماعيلي المؤيد في الدين الشيرازي

في الجزء الأول من الكتاب تحت عنوان "رسالة المؤيد في فارس" تستشهد كلیم بأجزاء مناسبة من السيرة لتصور صعود وانهيار الداعي ثم تتوسع أكثر بتفصيل مذكرات المؤيد كمصدر للتاريخ وتعرض أخيراً كيف تعكس السيرة الأهداف والمثل العليا والسمات الأخلاقية للدعوة الإسماعيلية:

... نرى على امتداد كتابات المؤيد محاولاته ليؤكد أن رسالته في شیراز لم تكن بدوافع وأهداف شخصية ولكنها كانت نابعة من إخلاص وتبعية لمعلمه الإمام المستنصر... كان مدركاً تماماً للمعنى الديني لرسالته... كانت غايته الوحيدة الحفاظ على اعتقادات أسلافه والذين يساء الحكم عليها حالياً في شیراز، وليعيد تأسيس صيتهم السابق (ص. 63).

يلخص الجزء الثاني تجارب المؤيد في بلاط الفاطميين في مصر ونجاحاته والعوائق التي واجهته في تأسيس حلف فاطمي ضد السلاجقة خلال مهمته السياسية في شمال سورية.

يبحث الجزء الثالث من الكتاب "المؤيد في ذروة حياته المهنية" عندما تم تعيينه كداعي الدعاة في القاهرة. يسلط هذا المقطع الضوء على انجازاته الرئيسية عن طريق أعمال قدمها وشخصيات بارزة أثر بها. تسلط الكاتبة الضوء على خدمات المؤيد المخلصة والكفاء والمواهب الفريدة مقتبسة الأبيات التالية من قصيدة للإمام المستنصر بالله :

شيعتنا قد عدموا رشدهم في الغرب يا صاح وفي المشرق  
فانشر لهم ما شئت من علمنا وكن لهم كالوالد المشفق  
إن كنت في دعوتنا آخراً فقد تجاوزت مدى السبق  
مثلك لا يوجد فيمن مضى من سائر الناس ولا من بقي (ص 90)

يشرح الملحق الأول جميع الأعمال المعروفة والتي تم حفظها للمؤيد بينما يسلط الملحق الثاني الضوء على التسلسل الهرمي وطرق التعليم في الدعوة الفاطمية من خلال ملخص جزئي لدراسة للنيسابوري تحت عنوان الرسالة الموجزة الكافية في شروط الدعوة الهادية.

## الجزء الأول : رسالة المؤيد في فارس

### رقي وسقوط الداعي

تستخدم الكاتبة ببلاغة كبيرة وصف المؤيد في سيرته لتوضح الأحداث في بلده الأم في فارس وهي إمارة مستقلة تحت حكم العباسيين في جنوبي إيران. كان المؤيد داعياً فاطمياً نشيطاً في منطقة فارس استطاع أن يكسب ثقة الحاكم البويهى آنذاك أبو كالجبار والذي اقتنع بتفوق معرفته حتى أنه أصبح في مرحلة من المراحل طالباً له. استطاع البويهيون، والذين انتمى معظمهم إلى الشيعة الإمامية الإثني عشرية والزيدية، بنجاح تأسيس دولتهم في الأراضي الإيرانية الواقعة في فارس وكرمان وخوزستان. وبالرغم من أن البويهيين اعتبروا الفاطميين منافسيهم السياسيين والدينيين فقد بدوا متسامحين مع الدعات الإسماعيليين العاملين كممثلين عن الخليفة الفاطمي (ص.3). وجد المؤيد الدعم بين أهالي الديلم وهم قوة وطنية داعمة لإدعاء البويهيين في الحكم في أراضي إيرانية لكنهم بنفس الوقت شاركوا الإسماعيليين في المعتقدات. لكن الجنود الأتراك والذين كانوا في الغالب من السنة ويؤيدون العباسيين في الحكم تأمروا ضده وأقنعوا أبو كالجبار أن يعارض المؤيد والفاطميين.

تسلط الكاتبة الضوء على رسائل التهديد التي تلقاها أبو كالجبار باستمرار من الخليفة في بغداد. في أحد تلك الرسائل هدد الخليفة بحشد التركمان للحرب ضد البويهيين. اشتكى الخليفة أنه لم يتجرأ من قبل أي داعي إسماعيلي على نشر معتقده الدينية بهذا الإنفتاح مع تجاهل ذكر اسم الخليفة العباسي خلال مواضع الجمعة. كان أبو كالجبار أيضاً متهماً بنقض 'وثيقة الإيمان' في قبول سلطة الخليفة العباسي السنية الدينية العليا (ص.39). وهكذا كانت نشاطات المؤيد في فارس مليئة بالكفاح والمشقة والتوتر في بيئة عدائية وخطيرة جداً. في النهاية وعلى الرغم من النجاح الأولي في كسب ود أبو كالجبار إلا أن المؤيد لم يستطع إقناعه بتحويل ولائه للفاطميين وأجبر بالنتيجة على مغادرة فارس.

## مذكرات المؤيد كمصدر للتاريخ

تشير الكاتبة كلیم أن المؤید ألف سيرته راوياً تجاربه في البلاط البويهی في فارس بعد أن كان قد قضى حوالي عقد من الزمن في البلاط الفاطمي في مصر (ص. 45). كان للمؤید عقب وصوله لمصر توقعات كبيرة بأن جهوده في فارس كداعي ملتزم يمكن أن تقدر وأن بالإمكان منحه منصباً رفيعاً في الدعوة الفاطمية. لم تتحقق توقعاته تلك. يتحدث في سيرته عن عدم رضاه عن المنصب الإداري كرئيس لوزارة الاختام التي قادت الكاتبة إلى استنتاج أنه كتب مذكراته في مصر وليس في فارس. تتوسع كلیم أكثر في توضيح التوازي بين معلومات المؤید في مذكراته والتحول السياسي في الأحداث والذي قاد إلى ارتفاع شأن المؤید وسقوطه. تستعين الكاتبة بمصدر تاريخي وجغرافي معاصر آخر يدعى فارس نامه (كتاب فارس) لابن البلخي لتثبت هذا الارتباط. يكتب ابن البلخي عن وجود حكومة سنية محافظة وقوية ومديدة العهد في فارس والتي كان ولاؤها موجهاً نحو الخلافة العباسية (ص. 47). تشرح الكاتبة حيثيات الفترة القصيرة من الوقت التي كان فيها أبو كاليجار منفطحاً على أفكار المؤید بأنه بين 1038/430 و 1042/433 استخدم أبو كاليجار اللقب الغير مسموح به 'الشاهنشاه' (ملك الملوك) ليؤكد بشكل علني حريته واستقلاله عن بغداد وتقابل هذه المرحلة الزمنية التي أقر بها أبو كاليجار بالمؤید كمعلم ومستشار سياسي- ديني له (ص. 48). بالإضافة إلى هذا شهد عام 1042/433 موت وزير أبو كاليجار "العادل" والذي من المحتمل أنه من أصل شيعي والذي كان قد وقف مع جنود الديلم وعمل كوسيط بين المؤید و أبو كاليجار. تفترض كلیم أن الوزير هو الذي كان قد "نصح أبو كاليجار بأن يباشر بخطة انفتاح تجاه مصر وبأن يقيم اتصالاً مع ... ممثل الفاطميين" (ص. 51). كان الوزير الذي خلف الوزير العادل سنياً ولقد أيد تحالفاً مع الخليفة العباسي. تشير كلیم أنه في هذا الوقت كان الخليفة العباسي يعمل على نشر دعاية كاذبة تشكك بنسب الأئمة الفاطميين ولقد استجاب أبو كاليجار لذلك خصوصاً وأنه كان راغباً باستلام قوة حربية في العاصمة العباسية.

وهكذا تختم كلیم موضحة أن دعوة المؤید "فشلت بسبب تحالفات سياسية عالمية فاقت كثيراً في الأهمية تأثير المؤید الخاص" (ص. 52).

## التصوير الذاتي للداعي

في الفصل الأخير من الجزء الأول تقترح الكاتبة أنه في غياب المصادر المثبتة الأخرى يجب أن تُعالم المذكرات بحذر " ... لا يتطابق مفهوم السيرة هنا مع المفهوم الغربي للسيرة الشخصية بشكل عام أو حتى السيرة الذاتية فالسيرة الذاتية تصور شخصية الفرد وتطور علاقاته الجدلية مع العالم المحيط أما السيرة هنا فهي عمل متعلق بسيرة الشخص والتي تغطي فقط الأحداث والسمات الشخصية له والتي لها أهمية دينية أو سياسية" (ص. 57). بصرف النظر عن كون السيرة مصدراً تاريخياً جيداً وانعكاساً للأفكار في الوقت الذي كتبت فيه إلا أنه لا بد من طرح السؤال فيما إذا كان من الممكن استخدامها كمصدر تاريخي موثوق. تؤكد كلیم أن المؤید أراد أن يكتب في سيرته تقريراً رسمياً- ربما أراد أن يعرض موهبته وإخلاصه وحماسه لرؤسائه في الدعوة. تشرح كلیم أن هذا الوصف الذاتي كان مهماً للمؤید بما أنه أراد أن يبرهن أنه كان قد عمل جاهداً بإصرار ليحقق ما كان مطلوباً منه وبلوغ المثل العليا لرسالته بتصوير مزايا التقوى والسياسة والعلم التي يجب أن يمتلكها كل داعي. ويجدر بالذكر كتاب الداعي النيسابوري: الرسالة الموجزة الكافية في شروط الدعوة الهادية.

"إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي.....تعلموا من العالم من أهل بيتي أو ممن تعلم من العالم من أهل بيتي حتى تنجوا من النار" (ص. 27)

## الجزء الثاني: المؤيد في مصر و سوريا

### المؤيد في البلاط الفاطمي في القاهرة

تتوسع كلیم في سيرة المؤید التي تغطي أحداثاً امتدت عبر اثنتي عشرة سنة بادئة من وصوله إلى القاهرة وحتى الإحتلال الفاطمي لحلب. هذه السنوات كانت خيبة أمل وإحباط كبير بالنسبة له. أولاً وقبل كل شيء كان أملاً خائباً بأن يكافئ لمساهماته الهامة التي كان قد قدمها في فارس. ثانياً، لم يكن قادراً على الوصول إلى الإمام المستنصر بالله. عُين في نهاية المطاف في ديوان المحفوظات رغم أنه تمنى أن يصبح داعي الدعاة لكونه شاعر بأنه كفؤ لهذا المنصب بالإضافة لإخلاصه للدعوة. بدأ في هذا الوقت بكتابة سيرته مسلطاً الضوء على انجازاته

وتفانيه محاولاً لفت انتباه الإمام له. فرَغ المؤيد إحباطه خلال العقد الأول في البلاط الفاطمي من خلال سلسلة من القصائد (ص. 76).

### مهمة المؤيد السياسية في شمال سورية

تشير كليم أن هذا القسم من مذكراته يركز مرة أخرى على ميدان التنافس السياسي في أنه يوثق النجاحات والعوائق التي واجهها المؤيد عندما حاول أن يؤسس حلفاً فاطمياً ضد السلاجقة. استراتيجية المؤيد بتشكيل حلف مع البساسيري، قائد الجنود الأتراك في بغداد، برهنت نجاحها فقد ساعد ذلك في منع السلاجقة من الإندفاع نحو المقاطعات الفاطمية في سورية ومصر. في هذا الوقت استولت القبائل التركمانية الأوغلية تحت قيادة توغرل بيك من العشيرة السلجوقية على بغداد. كان المؤيد ناجحاً في إقناع الملوك والأمراء السوريين والبدويين من بلاد ما بين النهرين "بأن يشكلوا جبهة مشتركة مع الفاطميين والبساسيريين لتحقيق الهدف الأسمى وهو السيطرة على بغداد" (ص. 81). تذكر كليم أنه "في الصفحات الأخيرة من السيرة يقدم المؤيد ملخصاً عن احتلال البساسيري المثير والموجز للعاصمة العباسية" (ص. 85).

" كانت المجالس مواظب أسبوعية مكتوبة ومدروسة بعناية من قبل داعي الدعاة عن الكتب الأساسية للتراث الإسماعيلي. كان يختار النص ويفسره بما يلائم مناسبات فعلية كإحتفال ديني أو حدث سياسي هام... كانت هذه المواظب تقدم للإمام مسبقاً لكي يصادق عليها ليتم نشرها للعمامة. يمكن اعتبار المجالس كمنتديات فكرية للعموم تعكس وجهة النظر الرسمية الدينية والسياسية " (ص. 73)

### الجزء الثالث: المؤيد في أوج مهنته

#### المؤيد كرئيس الدعاة في القاهرة

تتوسع الكاتبة كليم في شرح هذه المرحلة معتمدة بشكل رئيسي على كتاب عيون الأخبار للداعي والمؤرخ اليميني إدريس عماد الدين فتوضح الكاتبة أنه بدأت أعمال المؤيد تُعرف لدى عودته للقاهرة وبدأ يأخذ قدره. أثنى الإمام على معرفته وكفاءته من خلال قصيدة ألفها بنفسه (ص. 89) ثم عُين بمنصب باب الأبواب وهي المنزلة الدينية الأعلى في هرم الدعوة الإسماعيلية ويعمل حاملها تحت الإمام مباشرة. تتضمن بعض مسؤولياته تدريب الدعاة خلال المراحل المختلفة من الدعوة بالإضافة لانتقاء أشخاص وتكليفهم بمهام خاصة لنقل المعرفة المتخصصة والخبرات إضافة لتدريب وتعليم من أتوا من مناطق بعيدة. تدرّب الداعي والفيلسوف والشاعر ناصر خسرو على يد المؤيد مدة ثلاث سنوات مدحه في قصيدة قال فيها "إني أمدح الشخص الذي حررني، معلمي وشافي روحي ومن تجسدت به الحكمة والمجد. يا إلهي، من وجهه علم وجسده فضيلة وقلبه حكمة، يا إلهي، إنه معلم للإنسانية ومصدر فخرها" (ص. 101). عاد ناصر خسرو لاحقاً إلى بلخ (تقع في يومنا هذا في مزار الشريف) كحجة لمنطقة خراسان بأكملها.

تتابع كليم لتروي تأثير المؤيد على المجتمع الإسماعيلي الطيب في اليمن وكجرات (في الهند) من خلال تدريبه للاماك بن مالك الحمادي لمدة خمس سنوات والذي نجح أخيراً في قيادة الدعوة في تلك المناطق.

الحياة الزاخرة بالأحداث للعالم ورجل الدولة والدبلوماسي البارز وصلت إلى النهاية في عمر يناهز الثمانين. حصل المؤيد على ثلاث درجات شرف (حالة فريدة في تاريخ الدولة والدعوة الإسماعيلية) خلال مسيرته وتوفي وهو في منصب داعي الدعاة فقد سجي جسده الثرى في دار العلم الذي كان مكان عمله وسكنه ولقد ترأس المستنصر بالله بنفسه مراسيم الدفن والعزاء.

مذكرات رسالة هي وصف شخصي واضح عن الحياة البارزة لشخصية فذة. إنها قصة عن قوة إرادة لا تقهر وتصميم غير محدود وتفان حازم وإخلاص لقضية العقيدة. واجه المؤيد تحديات هائلة في مهمته لكنه لم يتراجع عن التزامه نحو القضية الفاطمية التي صانها خلال حياته. إن إخلاصه لإمام الزمان وإيمانه الثابت هو نموذج حقيقي. تختتم الكاتبة قطب الدين في كتابها " المؤيد الشيرازي وشعر الدعوة الفاطمية " ببيت شعر من ديوان المؤيد:

... كلما عظم الإيمان كلما زادت التجارب قسوة. ولهذا كان المؤيد 'مطهراً' مرحلة تلو مرحلة في نار تجاربه حتى أصبح كالذهب الصافي في ولائه للدعوة وللإمام. تحدى هو الآن أعدائه ليفعلوا أسوأ ما عندهم – لم يكن ليهتز إيمانه. 'فالنار أشد ما تكون بعداً لتتلف الذهب!' (ص.100).

"... شيعتنا قد عدموا رشدهم فانشر لهم ما شئت من علمنا إن كنت في دعوتنا آخراً مثلك لا يوجد فيمن مضى	في الغرب يا صاح وفي المشرق وكن لهم كالوالد المشفق فقد تجاوزت مدى السبق من سائر الناس ولا من بقي." ( ص 90 )
--	---

#### أسئلة مقترحة

1. لماذا قاد نجاح المؤيد الأولي كداعي فاطمي في إيران الجنوبية إلى طرده من المقاطعة؟
2. ما هي الدروس التي يمكن أن نتعلمها من حياة المؤيد التي لها صلة بحياتنا؟
3. ما الذي يجعل سيرة المؤيد هامة كمصدر تاريخي و كمصدر للدراسة عند الجماعة اليوم؟
4. كيف تطورت مسؤوليات ومهام الداعي مع الزمن؟

#### اقتراحات لقراءات إضافية

الإسماعيليون في المجتمعات المسلمة في العصور الوسطى. فرهاد دفتري، الفصل الرابع: الدعوة الإسماعيلية والدولة الفاطمية، لندن، 2005، الصفحات 52 وحتى 88.

ناصر خسرو: ياقوت بدخشان، أليس هانز برجر، لندن، 2000، الصفحات 62 وحتى 69.

مختارات من الفلسفة في بلاد فارس، الفصل السابع: المؤيد في الدين الشيرازي، سيد حسين نصر وأمينازافي مهدي، أوكسفورد، 2001، الصفحات 280 وحتى 290.

المؤيد في الدين الشيرازي وشعر الدعوة الفاطمية، الفصل الأول: حياة المؤيد وسيرة عمله في الدعوة. هولندا، 2005، الصفحات 15 وحتى 100.